المهانون

د. بدر عبد الحميد هميسه

بسم الله الرحمن الرحيم

المهانون هم الذين أهانهم الله تعالى وجعل ألسنة الخلق تتكلم عنهم بالسوء والطعن , قال تعالى : \" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18) سورة الحج.

ولو حاول كل من في الأرض محاباة شخص ومدحه وتجميل صورته نفاقاً ورياءً وأراد الله تعالى له الإهانة والصغار , فلن يستطيع أحد أن يعز من أذله الله , وإكرام من أراد الله تعالى له الإهانة ,وإسعاد من أشقاه الله, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ:كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَوْمًا فَقَالَ : يَا غُلأَمُ ، إني اُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إذا سَأَلْتَ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشيء ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بشيء ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بشيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأقلام ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. أخرجه أحمد (1/293 ، رقم 2669) ، والترمذي (4/667 ، رقم 2516) رقم : 7957 في صحيح الجامع .

ورد في كتب التاريخ أن ملكاً من ملوك وسلاطين الأندلس أراد أن يعدم عالماً عابداً ناسكاً ضاق ذرعاً منه، فكتب للجلاّد أن يقطع رأسه ومع ذلك فإن العالم الجليل سلّم أمره لله وذهب مع الجلاد ولكن قَبْل تنفيذ الجلاد الحكم، عليه أن يقرأ كلمة (يُقتَل )في أمر من الخليفة ولكنه وجدها (يُطلَقْ) فأخذ الورقة من جديد ليراجع الملك فيها فكتب الملك عليها وأعطاها إلى الجلاد الذي تابع طريقه لينفذ الحكم ليتفاجأ بأن الحكم كان (يُطلقْ) فأعاد الكرة إلا الملك والذي بدوره استمر في الخطأ إلى أنْ قال والله لا أُنفذ الحكم فهذا أمر من الله , فمن أراد الله له أن يُطلق فلسوف يطلق , ولو اجتمعت السموات والأرض على أن يشنق.

ولذا فقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الحور بعد الكور ؛ أي من الكفر بعد الإيمان ومن المعصية بعد الطاعة ومن الذل بعد العز , عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ كَانَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِى السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِى الأَهْلِ اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِى سَفَرِنَا وَاخْلُفْنَا فِى أَهْلِنَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْر وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِى الأَهْلِ وَالْمَالِ. أخرجه أحمد 5/82(21052) و\"مسلم\" 4/104(3255).

كما كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : \" اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا. أخرجه أحمد 1/34(223) . والتِّرْمِذِي (3173).

ومن إهانة الله للعبد في الدنيا أن تكتب له البغضاء في الأرض حتى ليبغضه الخلق والمخلوقات , فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، قَالَ : ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ ، وَإِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، قَالَ : ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ. أخرجه البُخاري7485 و\"مسلم\" 6798.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ؛أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ ، فَقَالَ : مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ ؟ قَالَ : الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلاَدُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ.أخرجه \"أحمد\" 5/296 (22903) و\"البُخاري\" 8/133 (6512) و\"مسلم\" 3/54 (2160).

وإهانة الله تعالى لمن كتب أن يهينه لا تكون في الدنيا فقط , بل تكون الإهانة الكبرى والفضيحة العظمى يوم القيامة , أعاذنا الله وإياكم من الإهانة والفضيحة في الدنيا والآخرة .

ومن إهانة الله تعالى في الآخرة حجب رؤيته تعالى عنهم يوم القيامة ,قال تعالى : \" يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108) سورة هود , وقال سبحانه : \" كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17) سورة المطففين.

قال صاحب \"الكشاف\" : كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم ، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا المهانون عندهم. تفسير الزمخشري 7/254.

قال الشاعر :

إذا أنت لم تَعْـرِفْ لنـفسك حقها \* \* \* هوانًا بها كانت على الناس أهـونــا

فنفسكَ أكرمها وإن ضاق مسكـن \* \* \* عليك بها فاطلب لنفسك مسكـنــا

وأسباب إهانة الله تعالى للعبد كثيرة , والمهانون من الله تعالى كُثر فمنهم :

1-أصحاب المعاصي والسيئات : قال تعالى : \" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) سورة غافر.

قال ابن عباس رضي الله عنه : إن للحسنة نورا في القلب وزينا في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة ظلمة في القلب وشينا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق .

وقال الحسن ما عصى الله عبد إلا أذله الله وقال المعتمر بن سليمان إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته وقال الحسن هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم. ابن القيم : روضة المحبين 441.

قالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ :

رَأَيْت الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ \* \* \* وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ \* \* \* وَخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا

ومن وصايا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : \" إِنَّ أَشَدَّ الشِّدَّةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ أَكْرَمَ الْكَرَمِ عِنْدَ اللهِ التَّقْوَى، وَإِنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِطَاعَةِ اللهِ رَفَعَهُ وَأَعَزَّهُ، وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ أَذَلَّهُ اللهُ وَوَضَعَهُ. البيهقي : شعب الإيمان 9/508.

قال الشاعر :

يا نفس كم تبيتين من مرة \* \* \* وكم تقولين ولا تفعلين

وكم تنادي فلا تسمعي \* \* \* وكم تقالين فلا ترجعين

حتى متى يا نفس حتى متى\* \* \* يراك مولاك مع الغافلين

فاستغفري الله لما قد مضى \* \* \* ثم أستحي من خالق العالمين

فمن طلب العز بطاعةالله رفعه الله، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه.

2- المخالفون لتعاليم الإسلام : الذي يخالف تعاليم الاسلام ولا يرضى به منهجا وسلوكا وتشريعا صالحا لكل زمان ومكان , ويبحث عن العزة والسعادة والفلاح في غيره ؛ فإنه لن يحصد في النهاية إلا الذل والصغار , قال تعالى : \" وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61) سورة الزمر . وقال : \" فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) سورة الأنعام .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِى تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِى وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِى وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. أَخْرَجَهُ أحمد 2/50(5114) و\"أبو داود\" 4031.

لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الشَّامَ ؛ لَقِيَهُ الْجُنُودُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَخُفَّانِ وَعِمَامَةٌ ، وَهُوَ آخِذٌ بِرَأْسِ رَاحِلَتِهِ يَخُوضُ الْمَاءَ ، وَقَدْ خَلَعَ خُفَّيْهِ وَجَعَلَهُمَا تَحْتَ إِبْطَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! الْآنَ تَلْقَاكَ الْجُنُودُ وَبَطَارِقَةُ الشَّامِ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ! فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :لقد أعزنا الله بالإسلام، فمن أراد العزة في غيره أذله الله. ابن عبد البر : المجالسة وجواهر العلم 2/273.

يقول الشاعر:

ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها \* \* \* وفي نيلها ما تشتهي ذلُّ سرمدِ

فلا تشتغل إلا بما يكسب العلا ولا \* \* \* ترضَ للنفس النفيسة بالرَّدِي

3- المتكبرون على الحق : قال تعالى : \" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (15) سورة ص .

وقال : \" كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) سورة الحاقة .

قال ابن القيم رحمه الله : من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقره ومن تكبر عن الانقياد للحق ولو جاءه على يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه فإنما تكبره على الله فإن الله هو الحق. ابن القيم : مدارج السالكين 2/333.

قال الحسن رضي الله عنه : إنما الناس بين ثلاثة نفر مؤمن ومنافق وكافر فأما المؤمن فعامل بطاعة الله عز و جل وأما الكافر فقد أذله الله تعالى كما رأيتم وأما المنافق فههنا في الحجر والبيوت والطرق نعوذ بالله والله ما عرفوا ربهم بل عرفوا إنكارهم لربهم بأعمالهم الخبيثة ظهر الجفا وقل العلم وتركت السنة . الفريابي : صفة المنافق 61.

4- المتعالون على الخلق : من تكبر أذله الله ومن تواضع لله رفعه والمتكبرون يحشرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس بإقدامهم .قال تعالى : تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) سورة القصص .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ رَجُلاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ ِللهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ. أخرجه أحمد 2/235(7205) و\"مسلم\" 6684 .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ. أخرجه أحمد 2/480(10232) و\"مسلم\" 211.

عنْ أَبِى أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ , عَنْ أَبِيهِ , عَنِ النَّبِيِ صلى الله عليه وسلم , أَنَّهُ قَالَ :مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ , وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ , أَذَلَّهُ الله , عَزَّ وَجَلَّ , عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.أخرجه أحمد 3/487(16081) قال الهيثمي : فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات في المجمع ( 7 / 267 ).

روي في شرح الصحيفة عن عمر بن شيبة انه قال بينما كنت في مكة المكرمة بين الصفا والمروة رأيت شخصا قد ركب جملا وغلمانه يبعدون الناس من حوله ، بعد مدة دخلت بغداد فرأيت شخصا ناحلا حافيا أشعث طويل الشعر فأطلت النظر إليه فقال لي مالك تنظر إلى؟ فقلت : انك تشبه رجلا متكبرا رأيته بين الصفا والمروة، وكان كذا وكذا فقال: آنا ذلك الرجل ، فقلت : وما الذي جرى حتى صرت إلى ما أنت فيه؟ فقال : لقد تكبرت حين كان يتواضع لي الناس، فجعلني الله في موضع يتكبر علي الناس.

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْكِبْرِ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ \* \* \* اُنْظُرْ خَلاَكَ فَإِنَّ النَّتْنَ تَثْرِيبُ

لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ \* \* \* مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبْرَ شُبَّانٌ وَلاَ شِيبُ

هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ مِثْلُ الرَّأْسِ مَكْرُمَةً \* \* \* وَهُوَ بِخَمْسٍ مِنْ الأقْذَارِ مَضْرُوبُ

أَنْفٌ يَسِيلُ وَأُذْنٌ رِيحُهَا سَهِكٌ \* \* \* وَالْعَيْنُ مُرْفَضَّةٌ وَالثَّغْرُ مَلْعُوبُ

يَا ابْنَ التُّرَابِ وَمَأْكُولَ التُّرَابِ غَدًا \* \* \* أَقْصِرْ فَإِنَّك مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ

5- أهل الظلم والجور : قال تعالى : \" فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) سورة الأعراف .

وقال : \" وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) سورة يونس.

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : \"صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي ، إمام ظلوم غشوم ، وكل غال مارق \" . أخرجه الحربي في \" غريب الحديث \" ( 5 / 120 / 2 ) الألباني في \"السلسلة الصحيحة\" 1 / 762 .

في سنة سبع عشرة جيء إلى عمر بالهرمزان ملك الأهواز أسيرا ومعه وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس فلما وصلوا به إلى المدينة ألبسوه كسوته من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التي يكون عليها في ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل هو في المسجد فأتوه فإذا هو نائم فجلسوا دونه فقال الهرمزان أين هو عمر قالوا هو ذا قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فنظر الهرمزان إلى عمر وقال عدلت فأمنت فنمت. الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 1/84.

قال حافظ إبراهيم :

و راع صاحب كسرى أن رأى عمرا\*\*\*\* بين الرعية عطلا و هو راعيها

و عهده بملوك الفرس أن لها \*\*\*\* سورا من الجند و الأحراس يحميها

رآه مستغرقا في نومه فرأى \*\*\*\* فيه الجلالة في أسمى معانيها

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا \*\*\*\* ببردة كاد طول العهد يبليها

فهان في عينه ما كان يكبره \*\*\*\* من الأكاسر والدنيا بأيديها

و قال قولة حق أصبحت مثلا \*\*\*\* و أصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهم \*\*\*\* فنمت نوم قرير العين هانيها

قال الحسن البصري :وإن همجلت بهم البراذين ـ ظهرت عليهم بذلك آثار الغنى ـ وطقطقت بهم البغال فإن ذل المعصية في قلوبهم وعلى وجوههم, يأبى الله إلا أن يذل من عصاه.

روى الخطيب في : ( تاريخ بغداد 14/131) : عن محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قال قال أبى لأبيه يحيى بن خالد بن برمك وهم في القيود والحبس يا أبت بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس قال فقال له أبوه: يَا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَغْفُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا ,ثم انشأ يقول :

رب قوم قد غدوا في نعمة \* \* \* زمنا والدهر ريان غدق

سكت الدهر زمانا عنهم \* \* \* ثم أبكاهم دما حين نطق

6- الذين يعبدون الأموال والمناصب : قال تعالى : \" فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) سورة الأنعام .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِىَ رَضِىَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِى سَبِيلِ اللهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِى الْحِرَاسَةِ كَانَ في الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ في السَّاقَةِ كَانَ في السَّاقَةِ ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ لَمْ يَرْفَعْهُ إِسْرَائِيلُ وَمُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ عَنْ أَبِي حَصِينٍ وَقَالَ تَعْسًا . كَأَنَّهُ يَقُولُ فَأَتْعَسَهُمُ اللَّهُ . طُوبَى فُعْلَى مِنْ كُلِّ شَىْءٍ طَيِّبٍ ، وَهْىَ يَاءٌ حُوِّلَتْ إِلَى الْوَاوِ وَهْىَ مِنْ يَطِيبُ. أخرجه البخاري 4/41(2886) و8/114(6435) .

ولقد حكى لنا القرآن الكريم قصة قارون الذي تكبر بماله , وكيف أهانه الله تعالى وأخزاه أمام أعين الناس جميعا , قال تعالى : \" إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) سورة القصص .

عنْ أَبِي ذَرٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، قَالَ : الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ ، وَالْمَنَّانُ عَطَاءَهُ. أخرجه أحمد5/148(21644) و\"مسلم\" 1/71(208).

قال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا . الإحياء 4/256.

قال الشافعي :

أمَتُّ مَطَامِعي فأرحْتُ نَفْسي \* \* \* فإنَّ النَّفسَ ما طيعت تهونُ

وَأَحْيَيْتُ القُنُوع وَكَانَ مَيْتاً \* \* \* ففي إحيائهِ عرضٌ مصونُ

إذا طمعٌ يحلُ بقلبِ عبدٍ \* \* \* عَلَتْهُ مَهَانَة ٌ وَعَلاَهُ هُونُ

كما حكى لنا القرآن عن قصة فرعون وهامان ومن كان على شاكلتهما ممن تكبر بجاهه وسلطانه وملكه , قال تعالى : \" وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40) سورة العنكبوت .

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم لما ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي، بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج وحلف أن يهدم الكعبة، فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً وأفيال أخرى، فخرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى، وعبأ جيشه، وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول، فأرسل اللّه طيراً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل، وذوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكسوم، وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه، وقد أخبر اللّه عن حال هؤلاء في سورة الفيل , قال تعالى : \" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5) سورة الفيل .

قال الشاعر :

لعمري لقد غال النفوس فسادها \*\* ولا كنفوسٍ أفسدتها المناصب

تطيب سجايا المرء حتى إذا سما \*\* به منصبٌ دبت إليه المعائب

وقال آخر :

إن المناصب لا تــدوم لواحـد \*\*\* إن كنت في شـك فأين الأول ؟

فأزرع من الفعل الجميل صنائعاً \*\*\*\*فإذا عـزلت فإنها لا تعـزل

ولقد رأينا في هذا العصر رئيس أكبر دولة في العالم أمريكا ( جورج بوش ) وقبل أيام قلائل من تركه للحكم يضرب بالنعال في العراق على يد صحفي عراقي , فلقد شاءت إرادة الله أن يخرج من الحكم ذليلاً مهاناً جزاء ما أفسد وقتل وشرد من شعوبنا العربية والمسلمة , كما رأينا في هذه الأيام من رؤساء العرب وأصحاب الثروات ممن عبدوا الأموال والمناصب وألهتهم عن الحق والعدل والبر كيف أهانهم الله تعالى على يد شعوبهم ؛ فأصبحوا عبرة لكل من عصى الله تعالى , وحاد منهج الله القويم , وتكبر على الحق والخلق .